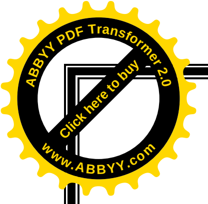
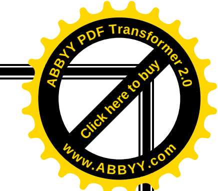



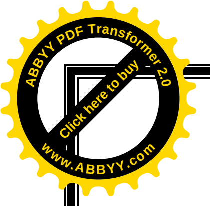
ثلاث رسائل ما بعد الحج

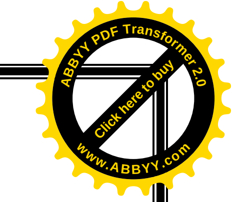
دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم





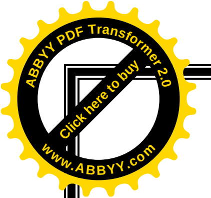
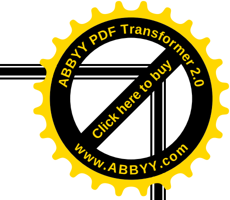
إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بـــالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد . . ؛

فالحج مدرسة تربوية كبرى يتعلم فيها المــسلم معــاني : التوحيــد الخالص لله رب العالمين وحسن الانقياد والطاعة لله رب العالمين ، كما يتعلم المعنى الحقيقي للتوكل ،قال تعالى " وَإِذْ بَوَّأْنَــا لِــإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّــائِفِينَ وَالْقَــائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُــمْ وَيَــذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَــامِ فَكُلُــوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) سورة الحج .

والتربي على الوحدة والعدالة والاعتدال والتوازن ، وتهذيب النفس وإلزامها بمكارم الأخلاق .

وهو فرصة لتكفير الذنوب ، ومرضاة علام الغيوب ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ

يَرْفُثْ ولَمْ يَفْسُقْ حَتَّى يَرْجِعَ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. **أخرجه "أحمد" ٢/٢٢٩(٧١٣٦) و"الدارمِي" ١٧٩٦ و"البُخاري" ١٥٢١ .**

وعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، مَا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ ؟ قَالَ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلاَمِ.**أخرجه أحمد ٣/٣٢٥(١٤٥٣٦).**

وهذه ثلاث رسائل أهديها إلى كل حاج " ثلاث رسائل ما بعد الحج " .

١-وجوب شكر الله تعالى على نعمة التوفيق.

٢-علامات قبول الحج .

٣- إنما الأعمال بالخواتيم.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، واجعلنا ممن يقولون فيعملون ويعملون فيخلصون ويخلصون فيقبلون .

اللهم اجعل حجنا مبرورا وذنبنا مغفورا وسعينا مشكورا . اللهم آمين .

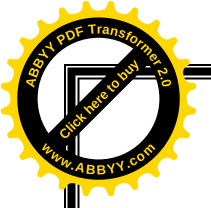
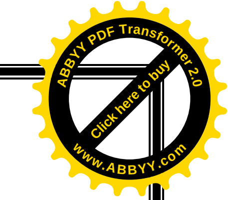
راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

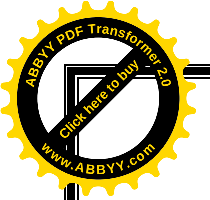
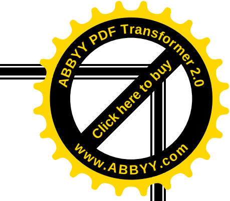
في ١٠ ذو الحجة ١٤٣٠ هـ = ٢٧ /١١/ ٢٠٠٩ م

(١) الرسالة الأولى

وجوب شكر الله تعالى على نعمة التوفيق:

يا من وفقك الله إلى الحج ، حينما تعود من حجك أكثر من الشكر لله تعالى على ما أعطاك وأولاك ، فقد وفقك الله تعالى واختارك من بين ملايين البشر واستضافك عنده في أشرف الأماكن وأطهر البقـــاع ، أكثر من الشكر لله تعالى على أن هيأ لك الـــزاد الحـــلال والرفقـــة الصالحة والطريق الآمن ، أكثر من الشكر لله تعالى على أن وفقـــك لأداء مناسك الحج والعمرة على هدي من الإسلام ، أكثر من الشكر لله تعالى على عودتك لأهلك ومن تحب ســليما معـــافى ، مغفـــورا مأجورا ، أكثر من الشكر لله تعالى على عودتك مـــن حجـــك كيـــوم ولدتك أمك صفحة نقية تقية بيضاء ، فيا من حج بيت الله الحـــرام ، اشكر الله على ما أولاك ، واحمده على ما حباك وأعطـــاك ، تتـــابع عليك بِرُّه ، واتصل خيرُه ، وعمَّ عطاؤه ، وكمُلت فواضله ، وتمـــت نوافله (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) سورة النحل ، " وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) سورة إبراهيم ، فظُن بربك كلَ جميل ، وأمِّل كل خيرٍ جزيـــل ، وقوّي رجاءك بالله في قبولِ حجك ، ومحْوِ ما سلف من ذنوبك ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ اللَّهَ يَقُـــولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَـــانِى.أخرجه أحمد ٤٤٥/٢(٩٧٤٨) و"البُخاري" في الأدب المفرد (٦١١) و"مسلم" ٦٦/٨ و"الترمذي" ٢٣٨٨ .

قال علي بن الموفق : لما تم لي ستون حجة خرجت مــن الطــواف وجلست بحذاء الميزاب وجعلت أفكر لا أدري أي شيء حالي عنــد الله عز وجل وقد كثر ترددي إلى هذا المكان ؟ فغلبتني عيني فكأن قائلا يقول لي : يا علي أتدعو إلى بيتك إلا مــن تحبــه ؟ قــال : فانتبهت وقد سرى عني ما كنت فيه . التبصرة، لابن الجوزي ٢/٢٨٢، ولله در القائل:

أبشر فحجك مقبول ومبرور * * * وكل سعيك محمود ومشكور
وما تصدقت في أرض الحجاز * * * فأجره لك عند الله مكفول
وكل سعي وما قدمت من عمل * * * فإنه لك بعد الربح موفور
فإن حججت ولم تأت بمعصية * * * نلت المراد وأنت اليوم مسرور

وقال آخر:

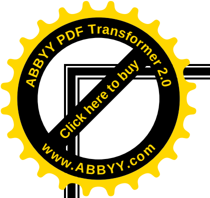
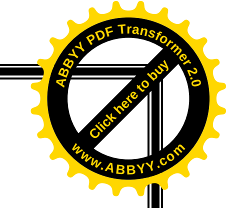
هب البعث لم تأتنا رسله * * * وجاحمة النار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق * * * حياء العباد من المنعم

كان وهيب بن الورد – رحمه الله – يسأل عن ثواب شيء من الأعمــال كالطواف ونحوه ، فيقول : تسألوا عن ثوابه ! ولكن سلوا ما الذي على من وفِّق لهذا العمل من الشكر ، للتوفيق والإعانة عليه ؟! .

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة * * * لمؤتيكها شكراً فلست بشاكر
إذا أنت لم تؤثر رضا الله وحده * * * على كل ما تهوى فلست بصابر

قال تعالى : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَــئِنْ كَفَــرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)سورة إبراهيم .

قال ابن رجب – رحمه الله – في قوله تعالى : " اعْمَلُــوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) سورة سبأ ، قال بعض السلف

: " لما قيل لهم هذا ، لم تأت عليهم ساعة إلا وفيهم مصلّ " ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه وقــال : " أفــلا أكون عبداً شكوراً ". وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه بهذا الدعاء العظيم فقال له وقد أخذ بيده : يــا معاذ ، والله إني لأحبك، ثم أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣) بإسناد صحيح.

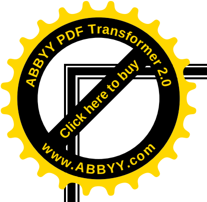
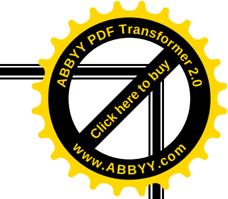
وكان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارهــا صائماً ، ويجعل صيامه شكراً لله للتوفيق للقيــام ، يقــول محمــود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة *** علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله *** وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها *** وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
فما منهما إلا له فيه نعمة تضيق *** بها الأوهام والسر والجهر

وقال آخر:

حافظ على الشكر كي تستجزل القسما *** من ضيع الشكر لم يستكمل النعما
الشكر لله كنزٌ لا نفاد له *** من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

يحكى أن رجلا ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقــول: الحمــد الله الــذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضّلني على كثير ممن خلق تفــضيلا، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله:

على أي شيء تحمد الله وتشكره؟فقال له: يـا هـذا، أَشْـكُرُ الله أن وهبني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا.

يحكى أن رجلا ذهب إلى أحد العلماء، وشكا إليه فقره، فقال العـالم: أَيسرُّكَ أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجـل: لا. فقـال العالم: أيسرك أنك أخرس ولك عشره آلاف درهم؟ فقال الرجـل: لا. فقال العالم: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا. فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين ولك عـشرون ألفًا؟ فقال الرجل: لا. فقال العالم، أما تستحي أن تشكو مولاك ولـه عندك نعم بخمسين ألفًا.فعرف الرجل مدى نعمة الله عليـه، وظـل يشكر ربه ويرضى بحاله ولا يشتكي إلى أحد أبدًا.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : (الشاكرون أطيب الناس نفوساً،وأشرحهم صدوراً، وأقرهم عيوناً، فإن قلوبهم ملآنـة من حمده والاعتراف بنعمه، والاغتباط بكرمه، والابتهاج بإحـسانه، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره، وذلـك أسـاس الحيـاة الطيبة، ونعيم الأرواح، وحصول جميع اللذائذ والأفراح، وقلوبهم في كل وقت متطلعة للمزيد، وطمعهم ورجاؤهم في كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد) والنعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت ، فداوم على الشكر تنل عظيم الأجر .

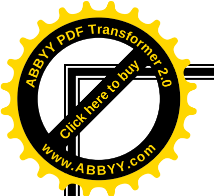
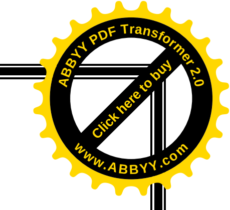
(٢) الرسالة الثانية

علامات قبول الحج :

إن للطاعات علامات تظهر على صاحبها ، والمؤمن هو الذي يسأل الله تعالى قبولها، ويعلم أن توفيق الله تعالى إياه لهذه العبادة نعمة يستحق سبحانه وتعالى الشكر عليها، فإذا شكر الله وسأل الله القبول فإنه حريٌّ بأن يقبل، لأن الإنسان إذا وُفِّق للدعاء فهو حريٌّ بالإجابة، وإذا وفق للعبادة فهو حري بالقبول.

إن للحج المبرور أمارة ، ولقبوله منارة ، فليكن حجُك حاجزًا لك عن مواقعِ الهلكة ، ومانعًا لك من المزالقِ المُتلفة ، وباعثًا لك إلى المزيد من الخيرات وفعلِ الصالحات ، واعلم أن المؤمن ليس له منتهى من صالحِ العمل إلا حلولُ الأجل ، فما أجملَ أن تعود بعد الحج إلى أهلك ووطنك بالخُلُقِ الأكمل ، والعقلِ الأرزن ، والوقارِ الأرْصَن ، والعِرض الأصون ، والشِيَمِ المرْضية ، والسجايا الكريمة ، ما أجملَ أن تعود حَسَنَ المعاملة لقِعادك ، كريمَ المعاشرةِ لأولادك ، طاهرَ الفؤاد ، ناهجًا منهج الحق والعدل والسداد ، المُضْمَرُ منه خيرٌ من المظهر ، والخافي أجملُ من البادي ، فإن من يعودُ بعد الحج بهذه الصفات الجميلة والسمات الجليلة فهو حقًا من استفاد من الحجِ وأسراره ودروسه وآثاره .

فيا من حج البيت الكريم : لقد فتحت في حياتك صفحةً بيضاء نقية ، ولبست بعد حجك ثيابًا طاهرة نقية ، فحذار حذار من العودةِ إلى الأفعال المخزية ، والمسالكِ المردية ، والأعمال الشائنة ، فما أحسن

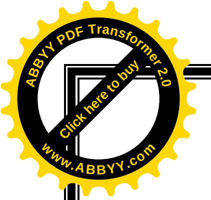
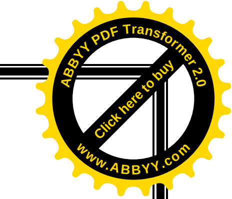



الحسنةِ تتبعها الحسنة ، وما أقبح السيئةِ بعد الحسنة ، وإن من قبول العمل الصالح إتباعه بعمل صالح .

ولقد ذكر العلماء علامات كثيرة لقبول الحج منها :

١- انشراح الصدر، وسرور القلب، ونور الوجه: قال تعالى : " قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) سورة يونس ،قال ابن عباس رضي الله عنه : " "إن للحسنة لنورًا في القلب، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لسوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق" . ابن تيمية، منهاج السُّنة ١/ ٢٦٩. وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. وفي الحديث الموقوف عن جابر قال: "من كَثُرَتْ صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار" . سنن ابن ماجة برقم (١٣٣٣) .
ورُوِيَ عنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ أنَّهُ قال: (مَنْ أَصلَحَ سريرتَه أصلحَ اللهُ تعالى علانيتَه).

٢- أن يكون بعد رجوعه خيرا مما كان قبل ذهابه : قال الإمام النّوويّ : ينبغي أن يكون بعد رجوعه خيرا ممّا كان ، فهذا من علامات قبول الحجّ ، وأن يكون خيره آخذا في ازدياد . قال تعالى : " وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ [الحج:١٨]، وقال جل وعز: " وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ " [النور:٤٠]. فيا من تقلبتَ في أنواع العبادة ، الزم طريقَ الاستقامة ، وداوم العمل فلستَ بدار إقامة

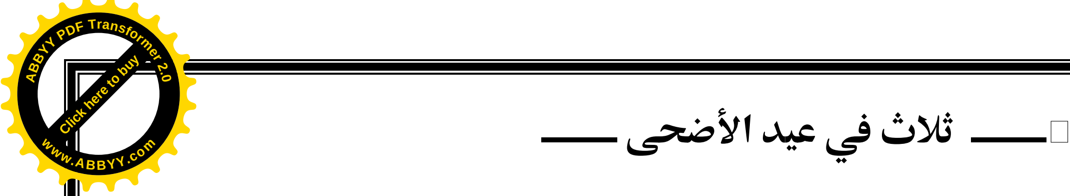
، واحذر الإِدْلاَءَ والرياء فربّ عملٍ صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية ، يقول بعض السلف : من سره أن يَكْمُلَ له عمله فليُحسن نيته ، وكن على خوف ووجل من عدمِ قبول العمل ، فعن عائشة رضي الله عنها زوجُ النبي قالت: سألت رسول الله عن هذه الآية { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } فقلت : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ فقال " لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تُقبل منهم { أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } [أخرجه الترمذي] . قال الشاعر :

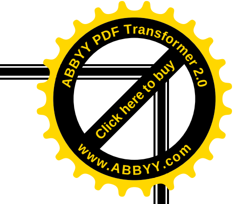
أسألُ النفس خاشعًا: أترى * طهرت بردي من لوثة الأدران**
كم صلاةٍ صليتُ لم يتجاوز * قدس آياتها حدودَ لساني**
كم صيام عانيتُ جوعي فيه * ونسيت الجياع من إخواني**
كم رجمت الشيطان والقلب مني * مرهَقٌ في حبائل الشيطان**
ربِّ، عفواً، إن عشت ديني * ألفاظًا عجافًا، ولم أعشه معاني**

قال ابن المبارك رحمه الله :

رأيت الذنوب تميت القلوب * * * وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب * * * وخير لنفسك عصيانها

٣- المداومة على الطاعات : قال تعالى : " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ





أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَـهُ فِـي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)سورة البقرة.. ...

فعلى الحاج بعد رجوعه أن يحافظ على العبادات، وأن يسابق إلى المساجد، وأن يتقرب إلى الله تعالى بنوافل العبادات؛ وأن يفعل الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها، ويكثر من ذكر الله، يأتى بالأذكار التى بعد الصلوات تسبيحا وتكبيرا وتحميدا ، وما إلى ذلك.

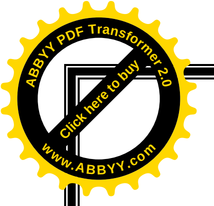
فإن ذلك مما يبيض وجهه عند الله وعند الناس ، ذكر بعض السلف أن من علامة قبول الحسنة أن يوفق الإنسان لحسنة بعدها، فإن توفيق الله إياه لحسنة بعدها يدل على أن الله عز وجل قبل عمله الأول، ومنَّ عليه بعمل آخر، ورضي به عنه.

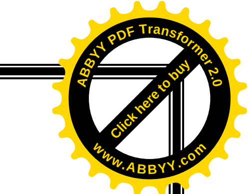
قال قتادة : وذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول : من اتقى في حجه غفر له ما تقدم من ذنبه .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال : كانت امرأة من المهاجرات تحج فإذا رجعت مرت على عمر فيقول لها : أتقيت ؟ فتقول : نعم ، فيقول لها : استأنفي العمل .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه قال : قد غفر له أنهم يتأولونها على غير تأويلها إن العمرة لتكفر ما معها من الذنروب فكيف بالحج ؟ ! .

وأخرج وكيع وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن معاوية بن مرة المزني فلا إثم عليه قال : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .





وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي قال : إنما جعل الله هذه المناسك ليكفر بها خطايا بني آدم .

عن حبيب بن أبي ثابت قال : كنا نلتقي الحجاج فنصافحهم قبل أن يقارفوا .

وأن لا يزال الخوف مصاحبًا له، لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] ، فهناك يزول خوفه .

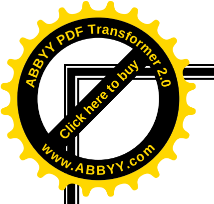
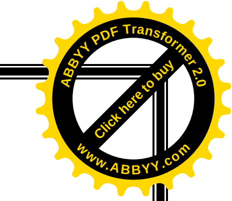
٤- الزهد في الدنيا : أخرج الأصبهاني عن الحسن ، أنه قيل له ما الحج المبرور ؟ قال : أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة .

السيوطي : الدر المنثور ١/٥٦٨ .

قال الشاعر :

لا تَنْظُرَنَّ إلى القُصُورِ العَامِرَةِ * واذْكُرْ عِظَامَكَ حِينَ تُمْسِي نَاخِرَةَ**
وإذا ذَكَرْتَ زَخَارِفَ الدُّنيا فَقُلْ * لَبَيْكَ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةَ**

وليس الزهد في الدنيا الانقطاع للعبادة وفقط بعد عودته من الحج ، بل الزهد بمعناه الحقيقي ، أن يكون أوثق بما في يد الله خير مما في يده ، وأن يحسن التوكل والاعتماد على الله تعالى في كل ما يأخذ وفي كل ما يدع ، وأن يجعل الآخرة ومرضاة الله تعالى همه وشغله ،وأن يبدأ رحلة جهاد جديدة و ربما تفوق في ثوابها جهاد الحج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه كان في المُرَابَطَةِ ففَرَغُوا

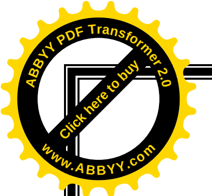
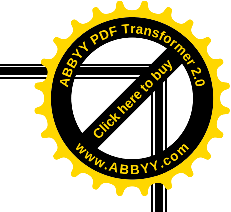
فَخرَجُوا إلى السَّاحِلِ ، ثُمَّ قِيلَ لاَ بَأس ، فَانْصَرَفَ النَّاسُ وأبُو هُرَيْرَةَ وَاقِفٌ ، فَمرَّ بِهِ إنْسَانٌ فَقَالَ مَا يُوقِفُكَ يا أبَا هُرَيْرَةَ ؟! فقال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَمَ يَقُولُ : " مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةَ القَدْرِ عِنْدَ الحَجَّرَ الأَسْوَدِ " (رواه ابن حبان والبيهقي)

السلسلة الصحيحة رقم : ١٠٦٨، وصحيح الترغيب رقم: ١٢٢٣ .

قال ابن المبارك :

يَا عَابِدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا *** لَعَلِمْتَ أنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّه بِدُمُوعِه *** فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخْضَبُ
أوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ *** فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّيِيحَةِ تَتْعَبُ
رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا *** رَهَجُ السَّنَابِكِ والغُبَارُ الأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِنَا *** قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لاَ يَكْذِبُ
لاَ يَسْتَوِي غُبَارُ أَهْلِ الله فِي *** أنْفِ أمْرِئٍ ودُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ الله يَنْطِقُ بَيْنَنَا *** لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِتٍ لاَ يَكْذِبُ

٥- المحافظة على أخلاقيات الحاج : الحاج في حجه يتدرب على أخلاقيات كثيرة ، ربما كان كثير منها قد غاب عنه في صراعات الحياة المختلفة ، فهو يتدرب هناك على أن يبدأ إخوانه بالسلام، وعلى أن يهش ويبش في وجوههم ، وعلى أن يتحمل ويصبر على الأذى منهم ، ورأيته يحرص على زيارات الصالحين، يتودد إليهم ويتقرب بذلك إلى الله تعالى، ويتقرب بمحبتهم، ورأيته أيضا يحب مجالس الذكر، ومجالس العلم: العلم النافع، ويتزود من المعلومات التي تقربه عند الله سبحانه تعالى.

وكذلك أيضا يتقرب إلى الله تعالى بما يتعلق بحقوق إخوته؛ فيسلم على من لقيه ، ويشمت من عطس، ويزور المرضى، ويتبع الجنائز، ويصلي على إخوته إذا مات أحد منهم من المسلمين ولم يكن يعلمهم.

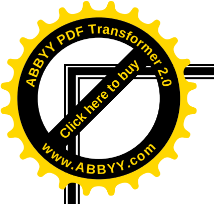
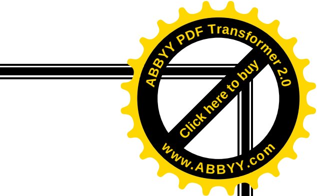
ويبذل النصيحة للعالم، يبذل النصيحة لإخوانه المسلمين.

وكذلك أيضا يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويبر أبويه، ويصل ذوي أرحامه ، ويحسن إلى جيرانه، وما أشبه ذلك من الأعمال الصالحة.

فإذا رأيت من أخلص في حجه بعد رجوعه، رأيته يغض بصره عن الحرام، ولا ينظر إلى ما يفتنه من الصور الفاتنة أو النساء المتبرجات، أو من الأفلام الخليعة أو ما أشبه ذلك، يحفظ بصره عما يفسد عليه قلبه؛ وذلك لأن البصر مرآة القلب.

كذلك أيضا يحفظ سمعه؛ فلا يستمع إلى الكلام السيئ، ولا يستمع الغيبة والنميمة والسباب والهجاء وما أشبه ذلك، يصون سمعه؛ فيبتعد عن هؤلاء ونحوهم الذين يتعاطون مثل هذه الأعمال السيئة.

ورأيته يراحي حرمات المسلمين ، لأنه قد رأى حرمة الكعبة المشرفة ، ولكنه عرف أن حرمة المسلم ؛ دمه وماله وعرضه أعظم وأشد عند الله من حرمتها ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لمَاَ نَظَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال : " مَرْحَباً بِكَ مِنْ بَيْتٍ ، ما أعْظَمَكَ ، وأعْظَمَ حُرْمَتَكَ ، ولَلْمُؤمِنُ أعْظَمُ حُرْمَةً عند الله مِنْكِ ، إنَّ الله حَرَّمَ مِنْكِ وَاحِدَةً ، وحَرَّمَ مِنَ المؤمِنِ

ثَلاَثاً : دَمُهُ ، ومَالهُ ، وأن يُظَنَّ به ظَنَّ الـــسَّوء " . (رواه البيهقي)

السلسلة الصحيحة رقم : ٣٤٢٠ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : " ما أطْيَبَكَ وأطْيَبَ رِيحَــكِ ، ما أعْظَمَكِ وأعْظَمَ حُرْمَتَكِ ، والذي نَفْسُ مُحَمْدٍ بيده لَحُرْمَــةُ المؤمن أعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ ، مَالُهُ ، ودَمُهُ ، وأنْ نَظُنَّ به إلا خَيْرًا "

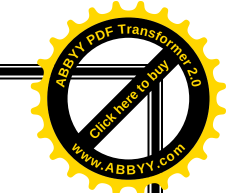
(رواه ابن ماجه) صحيح الترغيب رقم : ٢٤٤١ .

قال العلماء : حُرْمَةَ الكعبة المُشرفة إنَّما هي للمؤمن ، فــلا حُرْمَــة أعظم من حُرْمَة المؤمن .

فيا حجَّاج البيت العتيق، لقد فتَحتم في حياتِكم صفحةً بيضاء نقيّــة، ولبستم بعد حجّكم ثيابًا طاهرة نقيّة، فحذارِ حذار من العــودة إلـــى الأفعال المخزِية والمسالك المردِية والأعمال الشائنة، فمــا أحــسنَ الحسنة تتبعُها الحسنة، وما أقبحَ السيئة بعدَ الحسنة.

ويا من حج البيت العتيق ، وجئت من كلِ فج عميق ، ولبيت من كل طرفٍ سحيق ، ها أنت وقد كَمُلَ حجك وتمَّ تفثُك بعد أن وقفت علـــى هاتيك المشاعر ، وأديت تلك الشعائر ، ها أنت تتهيأ للرجــوع إلـــى ديارك احذر كل الحذر من العودة إلى التلوثِ بالمحرمات ، والتلفُّــع بالمَعَرَّات ، والْتِحَافِ المسبَّات قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَــأْمُرُ بِالْعَــدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَــرِ وَالْبَغْــيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّــهَ يَعْلَــمُ مَــا



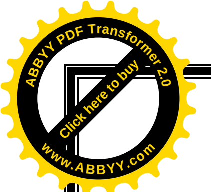
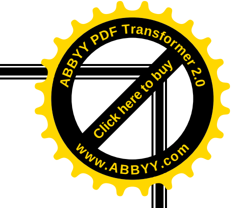


تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) سورة النحل . فإياك إياك أن تهدم ما بنيت ، وتُبدد ما جمعت ، وتنقض ما أحكمتم .

(٣) الرسالة الثالثة

إنما الأعمال بالخواتيم :

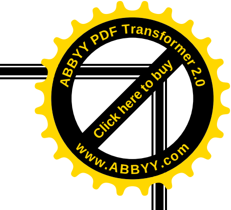
عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى رَجُلٍ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ وكَانَ مِنْ أَعْظَمِ المُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ فَقَالَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلى هَذَا فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حتى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ

لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا " البخاري ٣١٣/٧ . انظر حديث رقم : ١٦٢٤ في صحيح الجامع .عن خيثمة بن عبد الرحمن قال : إذا قضيت حجك فسل الله الجنة فلعله.

و قد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام و إنه سلب الإيمان بعد العلم و المعرفة و كذلك برصيصا العابد مات على الكفر و روي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للآذان و الصلاة و عليه بهاء العبادة و أنوار الطاعة فرقي يوما المنارة على عادته للآذان و كان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ـ و كانت جميلة ـ فافتتن بها و ترك الآذان و نزل إليها فقالت له : ما شأنك و ما تريد ؟ فقال : أنت أريد قالت : لا أجيبك إلى ريبة قال لها أتزوجك قالت له : أنت مسلم و أبي لا يزوجني بك قال : أتنصر قالت له : إن فعلت أفعل فتنصر ليتزوجها و أقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات فلا هو فاز بدينه و لا هو تمتع بها. الكبائر ، للذهبي ٢٢٧.

وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة،فلقي آدم فيها ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي،ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم اللّه الأعظم، فانظر ماذا لقي، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا

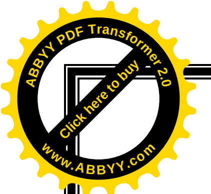
شخص أكبر من المصطفى فلم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه. الإستعداد للموت وسؤال القبر ، المليباري ٢٧ .

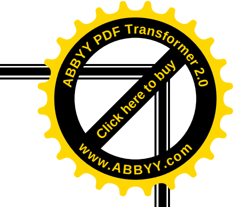
عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ ، قِيلَ : وَمَا اسْتَعْمَلُهُ ؟ قَالَ : يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ. أخرجه أحمد ٥/٢٢٤(٢٢٢٩٥) ..

فيا أيها الحاج كما أحسنت البدء أحسن الختام . كما بدأت طريق الطاعة فلا تنكس بعد حجك ولا ترتكس ، بل واصل السير فقد أوشكت أن تبلغ . وقال الفضيل لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال له: أنتَ من ستين سنة تسير إلى ربك؛ يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال فضيل: مَن علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف وأنه مسئول، فليُعِد للمسألة جوابًا. فقال له الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة.. تُحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى؛ فإنك إنْ أسأتَ فيما بقي أُخذتَ بما مضى وما بقي. لطائف المعارف ص ١٠٨ ..

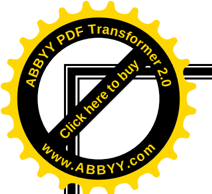
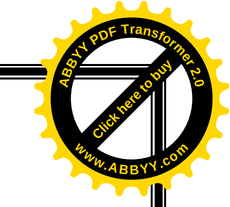
قال الشاعر :

قَوْمٌ هُمُومُهم بِاللهِ قَدْ عَلِقَتْ *** فَمَا لَهم هِمَمٌ تَسْمُو إِلى أَحَدِ
فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلاهُم وَسَيِّدُهُم *** يَا حُسْنَ مَطْلَبِهم لِلواحِدِ الصَّمَدِ
مَا إِنْ تُنَازِعُهُم دُنْيَا وَلا شَرَفٌ *** مِن المَطَاعِمِ والذَّاتِ والوَلَدِ
ولا لِلُبْسِ ثِيابٍ فَائِقٍ أَنِقٍ *** وَلا لِرَوْمِ سُرُوْرٍ حَلَّ فِي بَلَدِ
إِلا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ *** قَدْ قَارَبَ الخَطْوَ فيها بَاعِدُ الأَبَدِ





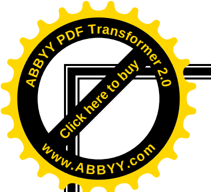
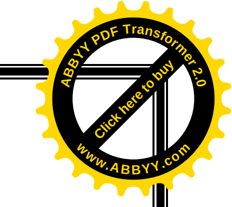
أيها الحاج لقد أتيحت لك فرصة جديدة بعد هذه الرحلة في الإعداد لرحلة أخرى إلى الآخرة التي تذكرك بالموت بكل ما فيه وبالمحشر حيث جمع الناس في هذا المكان الضيق في عرفات ورأيت أنواع البشرية وأجناسهم يجتمعون من كل فج عميق، وتذكرت أن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه حشرهم جميعاً في الساهرة، إذ أرانا من قدرته أنه حشر هذه الخلائق التي لا حصر لها والتي يعجب الشخص إذا رآها كالسيول الهادرة في هذه الأماكن الضيقة، فرأيت هذا العجب العجاب وتذكرت به النشأة الآخرة وأن الله سيناديهم فيخرجون من الأجداث سراعاً ويجتمعون جميعاً في الساهرة، حينما يناديهم المنادي أيها الناس هلموا إلى ربكم، فيخرجون سراعاً يلتقي أولهم مع آخرهم وينسون كم لبثوا في قبورهم فإذا اجتمعوا جميعاً في الساهرة بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف ملك، فتحيط بالناس من كل جانب وتدنو الشمس حتى تصير كالميل على رؤوسهم، ويشتد العرق حتى يُلجم أقواماً ويصل إلى تراقي آخرين وإلى ثدي آخرين ودون ذلك، ويطول هذا الموقف حتى يكون كألف سنةٍ مما تعدون، ويبحث الناس فيه عن المخرج ولا يجدون المخرج إلاَّ إلى الأنبياء، ويختارون أولي العزم منهم فيمرون بهم مرورهم الذي أخبرنا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ثم في الآخر تكون المنزلة والرفعة لرسولنا –صلى الله عليه وسلم- الذي هو الشافع المشفع وهذا هو المقام المحمود الذي ادخره الله له.

فتذكر ماذا ستكون عليه في ذلك اليوم الذي ينظر الشخص من أمامه فلا يرى إلا عمله، وينظر من خلفه فلا يرى إلاّ عمله، وينظر أيمن منه فلا يرى إلا عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلاّ عمله. وتذكر هذا الموقف العظيم الذي تعلن فيه النتائج وينادي الله سبحانه وتعالى آدم بصوت فيقول (أخرج بعث النار فيقول من كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يوم تذهل كل مرضعة عن ما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) .صحيح البخاري: ٣٣٤٨. ذلك الوقت الذي تعلن فيه النتائج على رؤوس الأشهاد، فينادى ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس:٥٩].

فيُفصل بين الناس فيه ويحال بينهم ويضرب فيه بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

تتذكر مرورك وعبورك على الصراط الذي هو جسرٌ منصوب على متن جهنم يمر الناس عليه وهو أحدُّ من السيف وأرقّ من الشعر وعليه كلاليب كشوك السعدان، يمر الناس عليه بحسب أعمالهم فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل والإبل، ومنهم من يمر كالرجل يشتد عدوا ومنهم من يزحف على مقعدته فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوشٌ مرسل، ومكردسٌ في نار جهنم.

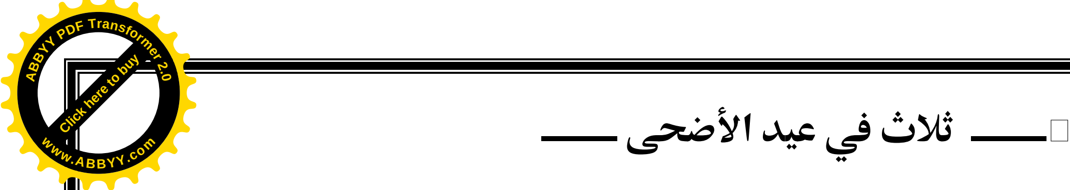
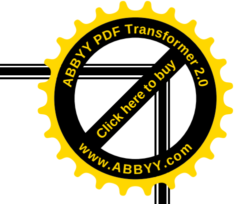
تتذكر عبورك على هذا الصراط وأنه جسر حقيقي وأنك اليوم تسير على جسر معنوي وهو المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وأنه بقدر ثباتك على هذا الصراط الدنيوي يكون ثباتك على الصراط الأخروي.

فاختر لنفسك وأنت ترى هذا بعني رأسك، ترى أنك الآن تسير على صراط أنت متحكمٌ فيه وأنت منه في سعة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

تسير في صراط موافقٍ للفطرة، ليس فيه كلاليب كشوك السعدان، بل كل أموره ميسرة ولله الحمد، كل أموره موافقة لمرضاة الله ولفطرة ابن آدم التي فطره الله عليها، وكلها لمصلحة ابن آدم وأنت تسير عليه، واعلم أنه على قدر استقامتك عليه ستكون استقامتك على ذلك الصراط الأخروي الذي وصفناه بأوصاف مناقضة لهذه فهو بهذا الضيق والشدة والحدة وعليه هذه الكلاليب التي هي كشوك السعدان.

ثم تتذكر أن هؤلاء القوم الذين يجتمعون في هذا الحج سيتفرقون تفرقاً لا لقاء بعده، فيا رُبَّ واقف بعرفة لن يقف بعدها بعرفة أبداً، ويا رُبَّ حاج في هذه السنة لا يأتي عليه هذا اليوم إلاّ وهو تحت التراب، ولا تدري لعلك تكون منهم، فلذلك حاول أن تنتهز الفرصة التي نلتها فإن يوم القيامة ليس فيه اهتبال للغرض، بل إن كان أحد يوم القيامة يتمنى أن يعود إلى الدنيا لعله يغير شيئاً مما كان يعمله فالمحسن يندم على ألاّ يكون زاد والمسيء يندم على أصل إساءته.

كل الناس سيندمون يوم القيامة ويتمنون الرجعة إلى هذه الدنيا التي هي دار عملٍ ولا جزاء وهم يعلمون أنهم في الآخرة التي هي دار

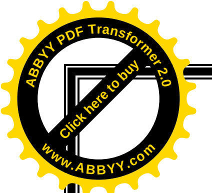
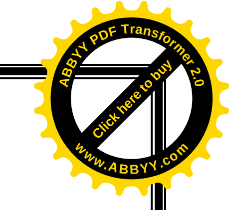



جزاءٍ ولا عمل ويتمنون لحظةً واحدةً يعودون فيها إلى هذه الـدنيا لعلهم يحسنون صُنعاً، وبذلك أخبرنا الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

وكذلك قال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

فلذلك حاول أن تكون هذه الفرصة فرصةً ذهبية بالنسبة إليك تقدم فيها لنفسك وتقرض الله قرضاً حسناً، وتتقي النار بأي شيءٍ حتى ولو بكلمةٍ طيبة، وَحاول أن تجعل من بقية عمرك علاجاً لما سلف منه، فأنت تعلم ما قصرت فيه في جنب الله، وتتذكر ما فرطت فيه وتعلم أن الله يناديك فيقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٦].

فإذا نفرتَ من مِنىً كان على يمينك الشعْب الذي خلف الجمرة وهو الذي وقعت فيه بيعة العقبة، حيث نظّمَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم – الأنصار وجعلَ عليهم اثنى عشر نقيباً، فكان ذلك أول لبنةٍ

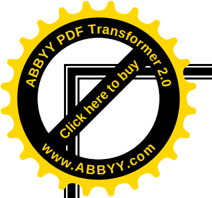
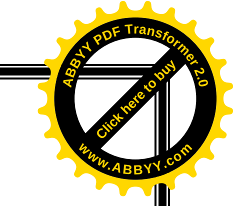
وضعت لبناء دولة الإسلام الكبرى، ولا شك أن تذكر هــذه البيعـة ومشاهدة مكانها مما يحرك مَشاعر الإيمان وينفض عنها الغبار.

فإذا لم تتعجَّل واستطعت أن تمر بمحصَب بني كنانة حيـث تحـالفوا على حرب الله ورسوله، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسـلم – أخبر الناس أنه نازل به وصلى فيه أربعة أوقات.

فإذا نزلت فيه تذكرت ما باءت به مؤامرات أعداء الله ورسـوله – صلى الله عليه وسلم – من الفشل الذريع، وما حققه الله لرسوله من النصر المبين، فتذكرت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٣٨-٤٠].

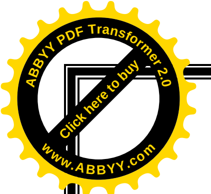
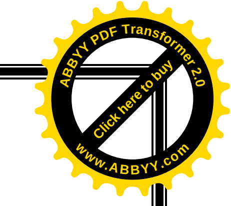
ترى هذه الدنيا كيف تتغيَّر إلى حطام وركام أسود بعد أن يمحقها الله تعالى وتذكر المثل الذي ضربه لها في قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

وقوله الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس:٢٤-٢٥].فاجعل همك ذلك الخلود الباقي الدائم ولا تتعلق نفسك بزخارف هذه الدنيا وشهواتها وما فيها، لأنك قد شاهدت فناءها وشاهدت لعب النار فيها ومصيرها وما آلت إليه خلال دقائق معدودة، فمن رأى أثر النار حتى في الفولاذ والحديد، ورأى هذه المكيفات التي كانت معدة لتمام الراحة والهدوء والطمأنينة، عادت ركاماً أسود غير نافع يتأذى منه رائيه، ورأى آثار النار عليها يتذكر أن جسده لا يقوى على النار، لا يقوى على نار الدنيا، فكيف بنار الآخرة، كل هذا مما يزيد منسوب الإيمان لديه ويتيح له فرصة لعله يتقرب إلى الله فيها.وقال وهيب بن الورد : بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات ، يا رب سبحانك ، وعزتك إنك لأرحم الراحمين،يا رب مالك عقوبة إلا النار ؟!!.

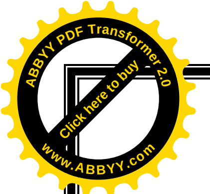
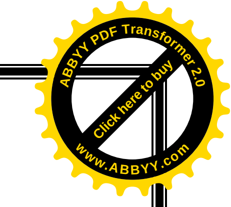
عن قاسم بن عثمان الجوعي يقول :" رأيت في الطواف رجلا لا يزيد على قوله : إلهي قضيت حوائج المحتاجين وحاجتي لم تقض ،فقلت له : ما لك لا تزيد على هذا الكلام ؟ فقال : أحدثك ، كنا سبعة أنفس من بلدان شتى ، ترافقنا وغزونا أرض العدو . فاستؤسرنا كلنا . فاعتزل بنا بطريق إلى موضع ليضرب رقابنا ، فنظرت إلى السماء

فإذا سبعة أبواب مفتوحة في السماء ، عليها سبع جوار من الحـــور العين ، على كل باب جارية . فقدم رجل منا فضربت عنقه . فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض حتـــى ضـــربت أعنـــاق الستة وبقيت أنا وبقي باب واحـــد فلمـــا قـــدمت لتـــضرب رقبتـــي استوهبني بعض رجاله فوهبني له . فسمعتها وهي تقول : أي شيء فاتك يا محروم ؟ وأغلقت الباب فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني .

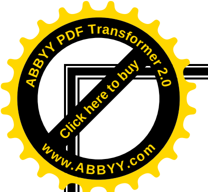
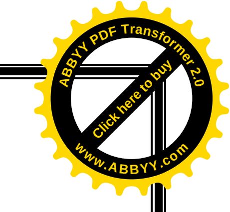
عن سعيد الأزرق الباهلي أنه قال :" دخلت الطواف ليلا ، فبينا أنـــا أطوف وإذا بامرأة في الحجر ملتزمة للبيت قد علا نشيجها ، فدنوت منها وهي تقول : يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الأوهام والظنون ، ولا تغيره الحوادث ولا يصفه الواصفون ، يا عالما بمثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، لا تواري منه سماء ســـماء ، ولا أرض أرضا ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، أسألك أن تجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، وخير ساعاتي مفارقة الأحياء من دار الفناء إلى دار البقـــاء التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك ، وتهين فيها من أبغضت من أعدائك أسألك إلهي عافية جامعة لخير الدنيا والآخرة منا منك علي وتطولا يا ذا الجلال والإكرام . ثم صرخت وغشي عليها . "

ذهب رجل صالح ليحج بيت الله فلما ذهب إلى هناك رفع يده يبتهـــل إلى الله قائلا الحمد لله على نعمه الإسلام وكفـــى بالإســـلام نعمـــه

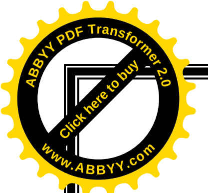
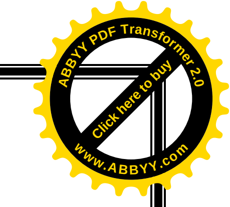
وانقضى هذا العام وجاء العام التالي وكتب الله له الحج وبينما هــو على عرفات أراد أن يبتهل إلى الله بدعاء وقبــل أن يــتلفظ بكلمــه واحده سمع هاتف يقول الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة . فسمع صوتا يقول له : مهلا.رويدا.لم نفرغ من كتبه ثوابها مــن العام الماضي.

يحكى أن التابعي الجليل مالك بن انس بن مالك رحمه الله قال:انه في يوم عرفة وفي موسم الحج طلعت على جبل عرفة لأرى الحجيج في الموقف فحدثتني نفسي وقلت الله اعلم من تقبل منه من أهل الموقف ومن لم يتقبل منه فأخذت بي عيني فرأيت في غفوتي أن قائلا يقول لي لقد غفر الله لأهل الموسم جميعا إلا فلان بن فلان بن فلان مــن حجاج اليمن قال مالك بن أنس فانتبهت من غفوتي وكأنه قد وقر في قلبي الاسم الذي سمعته حين غفوتي قال فنفرنا عند الغــروب مــن عرفة إلى مزدلفة وأنا مازلت أفكر في هذا الرجل الذي وقر اسمه في قلبي وعندما وصلنا إلى مزدلفة ذهبت إلى حجاج اليمن لأسأل عــن هذا الشخص واعرف قصته قال فذهبت لأسأل عن الرجــل فــسالت حجاج اليمن أين أجد فلان بن فلان قالوا هذا أزهدنا وأكثرنا تقــوى ودين انه الآن يتعبد ويصلى خلف تلك الصخرة قــال فــذهبت إليــه فوجدت شيخا تجاوز السبعين من عمره ورايته يصلي صلاة خاشعة ما رأيت مثله في الخشوع ولا في الركوع ولا في السجود فجلــست على يساره انتظره حتى يفرغ من صلاته وأنا أعجــب مــن عظمــة خشوعه فيها فلما سلم وفرغ من صلاته نظر إلى وقال اعلــم انــك

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

أتيتني لتقول لي أن الله لم يتقبل حجتي هذه فعجبت له كـل العجـب وقلت له نعم إنا ما أتيت إلا لأبلغك أنني رأيت مناديا يقول كل أهـل الموسم غفر لهم إلا أنت ، فسألني من أنت قلت له إنا مالـك ابـن انس بن مالك الأنصاري فقال ما كذبت يا مالك فقلت له وكيف ذاك يا فلان قال لي إنني منذ أربعين سنة أحج في كل سنه ويأتيني رجل في مثل هذا الوقت ويكون من اعلم أهل الأرض ليقول لي أن الله لم يقبل حجتي ثم بكى بكاء عجيبا وكاد أن يهلك من كثرة البكاء فقلت له ما الذنب الذي ارتكبته حتى انك في كل حجة يأتيك اعلـم أهـل الأرض ليقول لك انه رأى في منامه أن الله لم يتقبل حجتك من أربعين سنه قال لي بعد أن هدءا إنا من أهل اليمن وكنت شابا فتيا وقويا وكنـت أعاقرتا الخمر واشربها وكان بيتنا بعيدا عن الأعمار والقرية وعدت منزلي ذات ليله وكانت أول ليله من ليالي رمضان وكنـت متزوجـا وتعيش والدتي معنا فعندما أتيت البيت والخمر مازالت تلعـب بـي طرقت الباب ففتحت لي والدتي وعندما رأت أنني سكران من الخمر قالت لي إلا تتقي الله الناس يستقبلون رمضان بالاستغفار والقـران وأنت تستقبله بالخمر ولم اشعر إلا إنني حملتها ورميت بها في تنور النار الذي أوقدته لتعمل لنا فيه خبزا للسحور ونمـت ولـم أشـعر بنفسي إلا ظهر اليوم الثاني من التعب والإرهاق وتلاعـب الخمـر بعقلي وعندما صحوت من نومتى وجدت زوجتي تبكى وتصيح فقلت لها لم البكاء وأين حامى فأشارت إلى التنور فنظرت إليه فإذا ما بـه إلا بقية من العظام فقلت من فعل هذا فقالت أنت أتيت البارحة وأنت

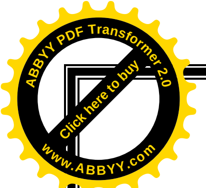



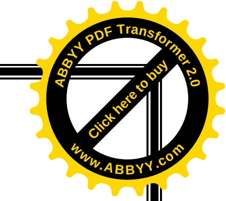
سكر وفتحت لك أمك بعد أن أوقدت الحطب في التنور ولما رأت مــا بك من سكر أرادت نصحك ولكنك رفعتها وقذفت بهــا فــي التنــور فأكلتها النار حتى لم يبقى إلا العظام وأنا أصيح وأنبهك من نومتــك وأنت لا حراك بك من اثر السكر ولم استطع أن اخرج لأدعو النــاس فالبيت بعيد عن القرية وخفت من السباع والوحوش في الليــل فيــا مالك إنا أقسمت على نفسي أن أحج كل سنة حتى يغفر الله لي واجد في كل سنة من يأتي ويقول أن الله لم يقبل حجتي فان عــشت إلــى العام القادم سوف أحج لعل الله يغفر لي قال مالك فعجبت من أمــر هذا الشيخ وكيف انه يتعذب في الدنيا بعقوقه وفعلته فكيــف بعــذاب الآخرة أن لم تتداركه رحمة ربي وتركته ورحلت . قال الشاعر :

إليك قصديَ لا للبيت والأثر * * * ولا طواف بأركان ولا حجر
صفاء دمعي الصفا لي حين أعبره * * * وزمزم دمعة تنساب من بصري
وفيك سعيي وتعميري ومزدلفي * * * والهدي روحي التي تغني عن الجزر
عرفانه عرفاتي إذ مناي منى * * * وموقفي وقفة في الخوف والحذر
زادي رجائي له والشوق راحلتي * * * والماء من عبراتي والهوى سفري

وقال الشاعر :

عــادَ الحجيجُ ففاحتِ الأجـواءُ ****وتزيَّنتْ لقدومــهم أرجــاءُ
عادوا كما الطفــلِ الرضيعِ نقاوةً ** والنـورُ بيـنَ المقلتينِ جــزاءُ**
رفعـوا الأيادي للإلــهِ تضرُّعاً ** وعلى الشفاهِ الراعشاتِ دعاءُ**
ذرفـوا الدمـوعَ التائبــاتِ تذلُّلاً ** حُـزْنـاً على ماقدَّموا وأسـاؤوا**
ومنَ القلوبِ الوالهاتِ قصـائدٌ ** ما قالها صخرٌ ولا الخنســاءُ**
يا عائداً من أرضِ مكَّــةَ تائبـاً ** وعليــكَ من نــورِ الإلــهِ رداءُ**
فالوجهُ منْ طهـرِ اللقــاءِ مخضَّبٌ ** بضيـاءِ آمـالٍ يواكبهـا الرجاءُ**





والحلّةُ البيضاءُ تحكـــي لوحـةً **** غـرّاءَ..نـعمَ اللوحــةُ الغــرّاءُ
هلْ زرتَ طيبةَ؟هلْ عيونكَ أدمعتْ؟*** فلـها القلـوبُ تـهافـتٌ وحُــداءُ
هـيَ جنـّةُ الدنـيـا ..فليسَ كحسنـها **** حسنٌ ، فمنـها وحدها الإغـراء
وأنـا الذي أمضيتُ عمـري حالما ً**** فَلَكَمْ يطيبُ بظلّهــا الإبقــاءُ
أأُلامُ في حبّــي لها ..وهـي التي **** في روضها قدْ حلَّـتِ العظمـاءُ
إنْ كـانَ يفتنكَ الجمالُ ،فقفْ علـى ****أعتابـهـا زمنـاً ..فينهمرُ الضياءُ
صـلِّ علـى المبعوث فينا رحمـةً **** منْ لم تُخـلّدْ مثلــهُ الأسـماءُ
خُـذنـي إليــها استحمُّ بنورهـــا **** منْ فرطِ وجـدي ..هدني الإعياءُ
لهفــي على أهـلِ البقيعِ وذكرهـمْ **** قطفوا النجومَ من السماءِ وجاؤوا
شمسُ الهدايةِ منْ هنالكَ أشرقــتْ **** فضياءها للتائهيـــنَ بــــراءُ
يا عـائداً بشذا الحبيبِ ونـــــوره **** ماذا ؟ وكيفَ ؟ فكلُّنـــا إصغـاءُ

* * * * *

طلب أخير

يا أخوتي ليس لي منكم سوى طلب ** هل يخذل الأخ من في الله آخاه**
فلا تخلُ أخاكم من دعائكم ** بظهر غيب وستر الليل أرخاه**